دَورُ اقتِصادِ المَعرِفَةِ في الجَودَةِ الشامِلَة لِتَعلِيمِ اللّغَةِ العَرَبِيّة

أ.د.عبد الرحمن عبدالهاشمي و د.فائزة محمد فخري العزاوي

الملخص

يتطلب مجتمع اقتصاد المعرفة مستويات عالية في المعرفة والمهارات وكفايات التواصل الفعال والتكنولوجيا والإبداع والمغامرة، ولابد من إعداد هؤلاء الطلبة لامتلاك هذه المهارات بتغيير أدوار أركان العملية التعلّمية التعليمية والتدريب لضمان امتلاك الطلبة المهارات كافّة المتعلقة بمعرفة إنتاج المعرفة واستخدامها وتوظيفها وإكساب مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة في حياتهم وعملهم لتحقيق التواصل اللغوي الفعال، وتحسين فهمهم للآثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، إذ إنّ جودة تعليم اللغة العربية تؤدي دوراً حيوياً ومهمّاً في تجهيز وإعداد المجتمع للتكيّف مع المتغيرات الجديدة والنمو المستمر؛ لذا أجاب هذا البحث عن الأسئلة الآتية :

١. ما نوع اللغة (فصحى، عامية، انجليزية) التي يستخدمها الشباب للتواصل في الانترنت؟
٢. ما دور اقتصاد المعرفة في تحقيق الجودة الشاملة في تعليم اللغة العربية؟
٣. ما المهارات التعليمية لمعلّم اللغة العربية في عصر اقتصاد المعرفة للوصول للجودة الشاملة في التعليم؟
٤. ما التغيرات المستقبلية لضمان الجودة الشاملة في التعليم؟

واعتمد الباحثان المنهج الوصفي للإجابة عن هذه الأسئلة وتم التوصل إلى نتائج اعتمدت الخبرة وفق النظريات التربوية الحديثة وآراء المربّين. وحددت في ضوء هذه النتائج توصيات البحث ومقترحاته.

مقدمة

يربط علماء الاقتصاد بين الكفاية اللغوية والكفاية الاقتصادية والاجتماعية حيث إنّ الاتصال اللغوي الفعّال عامل حاسم في بناء الكفاية الاقتصادية التي تعتمد على كفاية استقبال المعلومات واستعمالها في وضع جداول الأعمال وفي حلّ المشكلات الاقتصادية وعقد الاتفاقات واتخاذ القرارات الرشيدة. ولقد أصبح معروفاً ومنشوراً أنّ العرب يتحولون عن العربية ويستخدمون اللغات الأجنبية في تواصلهم الاقتصادي والاجتماعي فيخسرون عشرات المليارات سنوياً بسبب هذا الاستخدام؛ لأنّهم ليسوا أكفياء في التواصل بها، ولايعلمون كثيراً من ظلالها وأسرارها وبنيانها العميقة.

ولم تعد المعادلة الاقتصادية الجديدة تعتمد على وفرة الموارد الطبيعية، ولا على وفرة الموارد المالية فحسب، بل على المعرفة والكفايات والمهارات ... مما يستلزم إيلاء الجانب الإنساني مايستحقه من اهتمام، ووضع الخطط التي تستثمر الامكانيات البشرية أفضل استثمار واللغة في نظر علماء الاقتصاد عبارة عن (رصيد)، ولا يأتي ذلك إلا بالتفكير العميق، والمهارة في الاتصال اللغوي إذ اللغة هي التي تصنع هذا المجتمع وفقاً لمكانتها المهمة في عالم المال والتجارة والسياسة والسيطرة الأيدلوجية على أجهزة الإعلام الجماهيرية فضلاً عن صناعة الثقافة بوجه عام (طعيمة، ٢٠٠٥).

ويشهد الواقع العالمي خلال كل ثانية من الزمن تقدّماً هائلاً في مجال التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات، حيث يرى المعنيون بالدراسات المستقبلية أنّ حجم المعرفة الكونية سيتضاعف كل سبع سنوات. ومع ولوج العالم أبواب القرن الحادي والعشرين الذي أصبحت فيه المعرفة مصدراً للقوة في الحاضر والمستقبل ومصدراً مهمّاً وفاعلاً في القطّاعات الاقتصادية والصناعية في شتى أنحاء العالم، ظهر ما يسمى باقتصاد المعرفة الذي اعتمد المعرفة رأساً للمال واعتبرها

عاملاً رئيساً من عوامل الإنتاج حيث أصبحت المعرفة الفنية والمعلومات التي هي نتاج العقل الإنساني إضافة إلى الذكاء الذي يتجسد في برامج الكمبيوتر والتكنولوجيا على نطاق واسع في صورة منتجات معرفية لها أهمية كبيرة تتقدم على أهمية رأس المال أو المواد أو العمالة التي كانت تُعدّ من العُناصرً الأساسية للإنتاج في الاقتصاد التقليدي.

فتطوُر اقتصاد المعرفة بمفهومه الشامل يتوقف على تربية العقل الإنساني تربيةً كاملة، والعقل هو أساس التكليف وشرف الإنسان اختياره خليفةً في الأرض وبغياب العقل ينتهي التكليف وتنتهي المسؤولية الاجتماعية والقانونية، وتتوقف القدرة على التعليم والاختيار والاستخدام الأمثل للمعرفة، وأصبحت النظريات والأفكار والمعلومات تشكل الأساس الأهم في نمو المجتمعات الحديثة وتطورها.

ولقد أثبتت التجارب دائماً .. أنّ التقدم قرين العلم والمعرفة وأنّ رفاهية الشعوب لا بد أن تعتمد على نظام تعليمي رشيد، وكي تتحقق الجودة الشاملة في ظل اقتصاد المعرفة أصبحت الحاجة ملحّة لوضع معايير قياسية لاختيار المعلّم الأفضل جودة وتأهيلاً وتدريباً ومهارةً واستعداداً بين المعلّمين المتقدمين للالتحاق بمهنة التعليم.

وتُعدّ الجودة الشاملة في التعليم وسيلة رقي المجتمعات وتقدمها، فقد زاد الاهتمام بها في أواخر القرن العشرين من خلال نظريات ومبادرات سيكولوجية وسكانية من علماء متخصصين ومن آخرين اجتذبتهم التربية بوصفها شأناً عامّاً، وفي السبعينيات كان المؤشر الرئيسي لجودة التعليم هو توافر مجموعة من الأهداف السلوكية المحددة الواضحة والقابلة للقياس، لكل مادة موضوع ولكل درس أفعال يعكسها السلوك، ورُتّبت الأفعال في درجاتٍ بعضها فوق بعض ... فمثلاً (أن يفهم) أقل شأناً من (أن يميز) وهذا بدوره أقل شأناً من (أن يحلل) وهكذا.

وفي منتصف الثمانينيات دخلت حركة (نتاجات التعلّم) (Out Comes-based) فخرجت حركة (الأهداف السلوكية) وأنطلق مصطلح (النتاجات) في سياق تنمية المؤهلات المهنية للمتدربين، في مواقع العمل، وفي اهتمامات أرباب التوظيف، ويُعرّف يونج (Young) مدخل النتاجات على أنه المنهج الذي يمكن - وينبغي - أن يُعبّر عنه بدلالة نتاجات تعلّم قابلة للقياس،على عكس ما يجري في إعداد المنهج بدلالة المدخلات المتمثلة في المفردات وعدد ساعات التدريس (طعيمة ،٢٠٠٦).

وقد ظهرت عوامل أدت إلى زيادة الاهتمام بجودة التعليم منها : (البيلاوي،١٩٩٦)

١- رد فعل عصر التوسع التعليمي وما صاحبه من تفاؤل واسع على أنه العامل الحاسم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق المساواة والعدالة.

٢- ظهور ضغوط اجتماعية جديدة على المدارس بسبب تزايد وسائل الاتصال كمّاً وكيفاً، والانفجار المعرفي، والتفكك العائلي وعمل المرأة وغير ذلك.

٣- التغيرات الاقتصادية المصاحبة للانفجار العلمي والتكنولوجي مما يتطلب إعداد خريجين على درجةٍ عاليةٍ من الجودة شمولاً وعمقاً، تمكّنهم من استيعاب تكنولوجيا العصروالتوسع المعرفي.

٤- ضعف جدوى إصلاح هياكل النظم التعليمية من دون إصلاح العملية التعليمية ذاتها.

٥- أسباب تتعلق بالرغبة الأكاديمية، على المستوى العالمي في تنمية معارف جديدة عن الجودة، فقد دفعت هذه الرغبة الأكاديمية بعض الباحثين للاهتمام بالجودة على المستوى النظري والتطبيقي.

ولمّا كانت التربية المدخل الفعال في تنشئة الإنسان وإعداده لمواجهة متغيرات الحياة ومواكبة ما حصل في مجالات الحياة من تطور وما سوف يحصل في المستقبل القريب أوالبعيد ، فإنّ دخول مفهوم اقتصاد المعرفة في مجال التعليم يجب أن يكون من أولويات الأنظمة التعليمية وجميع مخططي مناهج التعليم، وأن يعاد تشكيل البرامج التعليمية بطريقة تضمن أفضل نوع من الاستثمار للقدرات العقلية في اقتصاد المعرفة، من حيث إنتاج المعرفة ونشرها واستثمارها في المجالات المختلفة.

وعلى هذا الأساس ظهر هذا المفهوم في المجال التربوي وغيّر من الاتجاهات الحديثة في بناء المناهج التعليمية. وظهرت مصطلحات تعكس هذا التوجه مثل ثورة المعلومات، واقتصاد المعرفة، واقتصاد التعليم، والموجه الثالثة، والاقتصاد الرقمي، وشبكة الاقتصاد الجديد وغيرها. وجاء البحث ليظهر العلاقة بين الجودة الشاملة في التعليم واقتصاد المعرفة في استثمار العقول وتنظيم عمل المدرسة وفق هذا التوجه المعرفي؛ لأهمية التعليم في إعداد المجتمع للتكيّف مع المتغيرات والنمو المستمر.

هدف البحث وأسئلته :

هدف البحث الحالي إلى تعرّف دور اقتصاد المعرفة في الجودة الشاملة لتعليم اللغة العربية وذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما نوع اللغة (فصحى، عامية، انجليزية) التي يستخدمها الشباب للتواصل في الانترنت؟
٢- ما دور اقتصاد المعرفة في تحقيق الجودة الشاملة في التعليم؟
٣- ما المهارات التعليمية لمعلّم اللغة العربية في عصر اقتصاد المعرفة للوصول إلى الجودة الشاملة في التعليم؟
٤- ما التغيرات المستقبلية لضمان الجودة الشاملة في التعليم؟

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث مما يأتي:

- تسليط الضوء على العلاقة بين اقتصاد المعرفة والجودة الشاملة.
- انسجام البحث مع الاتجاهات الحديثة في بناء التعليم وتعليم اللغة العربية وفق نظام اقتصاد المعرفة.
- إفادة القائمين على النظام التربوي في أقسام المناهج والمشرفين والمعلّمين من هذا البحث في تنسيق أعمالهم بما تتطلبه الجودة الشاملة في تعليم اللغة العربية.
- تشجيع الباحثين على تناول الجودة الشاملة في التعليم في ظل اقتصاد المعرفة في بحوث ميدانية تجريبية أو مسحية مقدمة ولاسيما بما يطوّر تعليم اللغة العربية.

مصطلحات البحث

اقتصاد المعرفة: عرّفته (المؤتمن، ٢٠٠٣، ٢٦) بأنه « الاقتصاد الذي يدور حول الحصول على المعرفة وتوظيفها، وابتكارها بهدف تحسين نوعية الحياة بمجالاتها كافة من خلال الإفادة من خدمة معلوماتية ثرية، وتطبيقات تكنولوجية متطورة واستخدام العقل البشري في رأس للمال، وتوظيف البحث العلمي لإحداث مجموعة من التغيرات الاستراتيجية في طبيعة المحيط الاقتصادي وتنظيمه ليصبح أكثر استجابة وانسجاما مع تحديات العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعالمية المعرفة والتنمية المستدامة «.

ويقصد باقتصاد المعرفة في البحث الحالي هو استثمار عقول الطلبة منذ الطفولة في مدارسهم لإنتاج المعرفة وتطويرها واستخدامها بتحقيق شروط الجودة الشاملة في تعليم اللغة العربية.

الجودة الشاملة في التعليم: « هي مجموعة الخصائص والسمات التي تعبّر بدقة وشمولية عن جوهر التربية وحالتها بما في ذلك كل أبعادها، مدخلات، عمليات، مخرجات، وتغذية راجعة، وكذلك التفاعلات المتواصلة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع «. (البيلاوي، ٢٠٠٦، ٢١).

ويُقصد بالجودة الشاملة في البحث الحالي بأنّها السعي لتحقيق التعليم الفعّال في المجال التربوي لتعليم اللغة

العربية باشتراك عناصر العملية التعلّمية التعليمية كافة وفق نظام اقتصاد المعرفة.

الطريقة والإجراءات :

استخدم الباحثان المنهج الوصفي، لمناسبته لطبيعة هذا البحث والإجابة عن أسئلته؛ للوصول إلى نتائج دقيقة وتوصيات ومقترحات اعتماداً على نظريات تربوية واقتصادية، واتجاهات حديثة في التعليم كالجودة الشاملة واقتصاد المعرفة، وما توصلت اليه الدراسات والبحوث التربوية العربية والأجنبية ذات الصلة.

نتائج البحث ومناقشتها

أجاب البحث الحالي عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما نوع اللغة (فصحى، عامّية، هجينة، انجليزية) التي يستخدمها الشباب للتواصل في الإنترنيت؟

يحاول الأنسان بإرادة الله الذي فتح عليه العقل والإدراك أن يفهم العالم الذي يعيش فيه، ويتأقلم مع البيئة التي وجد نفسه فيها، وبهذا العقل اهتدى الأنسان إلى اكتشافات عظيمة ومنها اللغة، وسيلة التواصل التي أصبحت هي الشاهد والسجل لمنجزات الفكر الأنساني، والتطور في القدرة على تسجيل المنطوق والمكتوب فاستجابت لظروف البيئة بكل عناصرها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والإعلامية فاستجابت للجميع وجمعت المتناقضات والأضداد معاً، فهي أداته في الإبانة، وأداته في الغموض، وهي أداته في التحرّر كما هي أداته في الأستعباد.

وقد ابتكر العقل الأنساني الحاسوب في عصر اتُخذ اسمه هو عصر الحاسوب، فكان منعطفاً تاريخياً في حياة الناس تقنياً واجتماعياً، فكان يحاكي العقل الأنساني وذكاءه، إذ انتهى ذلك إلى العقول الآلية والذكاء الاصطناعي، وفَضل الحاسوب على اللغة لا يقل عن فضل اللغة على الحاسوب؛ فكلاهما لايستغني أحدهما عن الآخر، وانتهى ذلك كلّه إلى إقتحام الحاسوب لحياة الناس اليومية رغبةً أو قسرا. فداهم وسائل الإعلام التقليدية فحولتها من وسائل إعلام وأخبار تسير باتجاه واحد من المرسل (الصحيفة، والتلفاز، والإذاعة) إلى المتلقي، فأصبحت الوسيلة الإعلامية تتقل التواصل الآلي من دون تأخير أو تعقيب.

وهكذا انتهى ربط الصحافة والتلفزة بالإنترنت، وربط الهواتف الخلوية بها إلى نشوء عالم تفاعلي لايفترق كثيراً عن المجتمع البشري الاعتيادي. وهذا لاينطبق على لغةٍ بعينها وإنما تنطبق على كلِ لغة أوتيت حظ الكتابة والتدوين تتفاوت بتفاوت منجزات أهلها حضارياً ومعرفياً.

وقد تجلّت تأثيرات العولمة اللغوية بهيمنة اللغة الأنجليزية على اللغات الوطنية في معاجمها وقوانين العرف فيها، ففي العربية نقول (فَرَمَتَّ) و(فرْمَتَّهُ) و(الفرمة) و(سيَّف تسيِّفا) و(مسَجَ تمسيجاً) مما أدى ذلك إلى موقف سلبي دخل نفوس الناطقين باللغة الوطنية من لغتهم، وإن اللغة الأنجليزية هي لغة الرُقيّ الاجتماعي ولغة الفرص.

ففي دراسة أجراها العناتي وزميلاه (٢٠١٢) على مجموعة من الأشخاص لتعرُّف نسبة استخدام عيّنة البحث من طلبة الجامعات للغتين العربية والأنجليزية في البريد الالكتروني باستجابتها عن فقرات أداة البحث (الاستبانة) التي توصلت إلى نتائج يظهرها الجدول (١) الآتي:

الجدول (١) استخدام اللغة الفصحى في البريد الألكتروني

درجة الاستخدام	التكرار	النسبة
دائماً	١٨	٨.٥
غالباً	٢٠	٩.٥

أحياناً	٤١	١٩،٤
نادراً	١٣٢	٦٢،٦
المجموع	٢١١	٪١٠٠

أما نسبة استخدام عينة البحث للغة الانجليزية في البريد الالكتروني فقد أظهر التحليل الأحصائي مايأتي:

الجدول (٢) استخدام اللغة الأنجليزية في البريد الالكتروني

درجة الاستخدام	التكرار	النسبة
دائماً	٦٨	٣٢،٢
غالباً	٦٧	٣١،٨
أحياناً	٥١	٢٤،٢
نادراً	٢٥	١١،٨
المجموع	٢١١	٪١٠٠

والجدول (٢) يظهر أنّ (٨٨٪) من عيّنة البحث تستخدم اللغة الأنجليزية وسيلة تواصل عبر البريد الالكتروني موزعة على درجة الاستخدام.

وكانت نتائج استجابة عيّنة البحث عن الفقرة (ما نسبة استخدام اللهجة العاميّة في البريد الالكتروني) كالآتي:

الجدول (٣) استخدام اللهجة العاميّة في البريد الالكتروني

درجة الاستخدام	التكرار	النسبة
دائماً	٦٤	٢٩،٩
غالباً	٧١	٣٣،٦
أحياناً	٤٠	١٩،٠
نادراً	٣٦	١٧،١
المجموع	٢١١	٪١٠٠

يظهر من الجدول (٣) أن (٨٣٪) من عيّنة الدراسة يستخدمون اللهجة العامية في تواصلها عبر البريد الالكتروني موزعة على درجة الاستخدام.

وقد نشرت كلية دبي للإدارة الحكومية (٢٠٠٨) توزيعاً للغات المتداولة على فيسبوك في البلاد العربية ومما جاء فيه:

الجدول (٤) توزيع اللغات المستعملة في البلدان العربية على فيسبوك

البلد العربي	اللغة المستخدمة	النسبة
لبنان	الانجليزية	٪٩١
الإمارات	الانجليزية	٪٨٥
الصومال	الانجليزية	٪٨٤
قطر	الانجليزية	٪٩
الكويت	الانجليزية	٪٧٠

البحرين	الانجليزية	٦٨٪
اليمن	الانجليزية	٧٥٪
فلسطين	الانجليزية	٦٧٪
السعودية	الانجليزية	٦٠٪
مصر	الانجليزية	٥٠٪
الأردن، ليبيا، العراق	الانجليزية	٥٠٪

ملاحظة: غلبت الفرنسية على الأستعمال اللغوي للتواصل على فيسبوك في تونس، وجزر القمر، والمغرب، وموريتانيا، والجزائر، وقد أرجع التقرير غلبة الأنجليزية في دول الخليج عدا السعودية، إلى العمالة الوافدة والمقيمين غير العرب. وتعود غلبة الفرنسية في دول شمال أفريقيا إلى شيوع الفرنسية في الحياة اليومية، زيادةً على تعريب لوحات المفاتيح الفرنسية وليس الأنجليزية.

السؤال الثاني: ما دور اقتصاد المعرفة في تحقيق الجودة الشاملة في التعليم؟

إنّ التربية التي مرت بعصر الفلسفات، ثم بعصر السيكولوجيات ثم بعصر السيولوجيات، وتأثّرت وتشكّلت بفضل المعطيات الفلسفية والسيكولوجية والسيولوجية، تمر اليوم وبقوة تأثيرية بعصر التكنولوجيا وما تتضمنه من بث فضائي عبر الأقمار الصناعية، واستخدامات الكومبيوتر، والأنترنت، والفديو التفاعلي، وغير ذلك مما تلده من معجزات مبهرات.

ولّما كان التعليم اللبنة الأساسية لتنمية الأفراد وتربيتهم وتأهيلهم من أجل النهوض بالمجتمعات في المجالات كافة، ومن أهمها المجال الاقتصادي فقد دخل مفهوم اقتصاد المعرفة في ميادين التربية من الأبواب كلها. وهو يتطلب مجتمعاً بمستويات عالية من المعرفة والمهارات والكفاية والتكنولوجية، والإبداع والمغامرة، ولابد من إعداد هؤلاء الأفراد لامتلاك هذه المهارات من خلال جودة التعليم بتغيير دور التعليم والتدريب لضمان امتلاك الطلبة المهارات المتعلقة بمعرفة القراءة والكتابة، وإكساب مهارات التعامل مع التكنولوجيا في حياتهم وعملهم وتحسين فهمهم للآثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لاقتصاد المعرفة في التعليم والتدريب والبحث والتطوير؛ إذ إنّ التعليم يؤدي دوراً حيوياً مهماً في تجهيز وإعداد المجتمع للتكيف مع المتغيرات الجديدة، والنمو المستمر (القلا ،١٩٨٧).

ويتطلب اقتصاد المعرفة أيضا موارد بشرية مؤهلة تتصف بمستوى عالٍ من التعليم والتدريب، وحرص على النمو المهني والتعلّم الذاتي المستمر والقدرة على التواصل والإبداع وحل المشكلاتً واتخاذ القرارات، زيادةً على القدرة على التحول من مهنة إلى أخرى والتعامل مع الحاسوب وتوظيف التنمية بنجاح. وقد أدت العولمة في الاقتصاد إلى ظهور توجهات لتعديل المناهج الدراسية حتى تصبح مساندة للتجديدات في بنية الاقتصاد الحديث.

ويتوقع من النظام التربوي أن يمارس دوراً فاعلاً متعدد الأبعاد متنوع المجالات في إعداد الطلبة وتهيئتهم لمجتمع اقتصاد المعرفة وتمكينهم من الكفايات الضرورية لتحقيق التعايش والتفاعل فيه، ومواكبة مستجداته وتقنياته، وتحدياته (شحاته، ٢٠٠٥).

لذا يجب صياغة العملية التعلّمية التعليمية لتكون شاملة، ويكون المتعلّم مواكباً لهذه التطورات وقادراً على التعامل مع كل هذه المتغيرات من خلال فلسفة متوازنة للتعليم. ويُقاس نجاح أي نظام تربوي بمدى قدرته على إيجاد التوافق والانسجام بين الطموحات الذاتية للمتعلّم الفرد، وبين متطلبات التنمية المجتمعية الشاملة التي تتغير باستمرار؛ مما يدعو تربية المستقبل إلى إيجاد حل لرفع مستوى التفكير العلمي النظري والتجريبي عند المتعلّمين بما يضمن لهم

القدرة على التفكير الموضوعي النقدي، لمواجهة الغزو الثقافي والقيّمي وتأثيراته على أنماط السلوك والتفكير وفلسفة الحياة (بشار، ١٩٩٧).

ويوضّح الجدول الآتي النتائج المتوقعة لنجاح الجهود في جودة التعليم لمواكبة عصر اقتصاد المعرفة بحيث يكون هذا التحول على النحو الآتي:

من	إلى
١- التعليم اللفظي الحرفي	التعلّم بالمعنى والعمل والتطبيق
٢- التلقين	اكتساب الخبرات والقدرات والكفايات للتعامل مع الموارد البشرية، المالية والتقنية، تعليم المهارات المناسبة للمستقبل
٣- تعليم أحداث الماضي	التعلّم الالكتروني
٤- التعليم وفق المناهج التقليدية والكتب المدرسية الموحدة	التعلّم بالمناهج والوسائط المتعددة (كتب، برمجيات، مشاريع، أنشطة علمية، أشرطة)
٥- دور المعلّم كمسيطرٍ وملقٍ ومصدرٍ للمعلومات وحيد	دور المعلّم كقائدٍ ميّسرٍ ومسهّلٍ ومناقشٍ لتعلّم الطلبة يعمل على لإطلاق طاقاتهم وتنميتها
٦- حفظ نصوص اللغة العربية غير المقترن بالفهم	حفظ النصوص المقترن بالفهم والوعي

ومن ضمن التحوّلات لضمان الجودة، التحوّل من اعتماد المؤسسة أو البرنامج إلى اعتماد المتعلّم أو المعلّم ذاته. وفي هذه الحالة فإن المتعلّم في حالة إظهار إنجاز أو الوصول إلى مستوى محدد من المعارف والمهارات، فإنّه يمنح شهادة بذلك بدلاً من منح المؤسسة التي تقوم بإعداده.

والجدول الآتي يوضح التحولات لضمان الجودة الشاملة:

من	إلى
قياس التحصيل الأكاديمي	التقويم الشامل المتكامل لجوانب شخصية المتعلّم وطاقاته وإبداعاته
سياسة التبرير	المنهجية العقلانية والمنطق الرشيد
استهلاك التقنية	ابتكار التقنية وإبداعها
التعليم مسؤولية تنفرد بها وزارة التربية والتعليم	التعلّم مسؤولية مجتمعية مشتركة تنفذ من خلال بناء شراكات فاعلة
المدرسة المنعزلة	المدرسة باعتبارها جزءاً رئيساً من شبكة مؤسسة مجتمعية تربطها علاقات تشاركية فاعلة

وهنا يتعيّن أن تنصرف جميع موارد التعليم إلى تحسين عمليات التعلّم لدى المتعلّمين من خلال تحسين جودة المحتوى التعليمي وكذلك تحسين ممارسات التدريس الصفي وتحسين الأداء الدراسي عن طريق استخدام طرق عديدة، فالجودة هي نظام يجمع بين تطوير المدرسة والمحافظة عليها والجهود التي يبذلها العاملون بالمؤسسة التعليمية التي تلبّي متطلبات المجتمع واحتياجاته وتوقعاته في ظل اقتصاد المعرفة.

ولعل أهم الأمور التي ترتقي بجودة التعليم هي: (شحاتة، ٢٠٠٥)

- تعرّف طبيعة المتعلّم وتكوينه ووظيفته وخصائصه في مختلف مراحل نموه، وما يتميز به كل فرد من قدرات واستعدادات وميول واتجاهات.

- متابعة التطورات المعاصرة في مادة التعليم (العلوم والتقنية واللغة) والاستفادة منها في إعداد المناهج وفي تخطيط العملية التعليمية التعلّمية ورسم سياستها وتطويرها، والنهوض بإعداد المعلّم وتنميته، وبالخدمات التعليمية على وجه العموم.
- الاعتماد على التجريب الفعلي في التطوير التربوي، والاستفادة من المناسب من المستحدثات والاتجاهات التربوية في المجتمعات الأخرى مع الحرص على تأهيل قيّم المجتمع والتركيز على حل مشكلاته بعامة ومشكلات التنمية بخاصة.
- فكرة إعداد المتعلّم للتغيير والتهيؤ النفسي له، ينبغي أن تكون القيمة الأساسية في التعليم. فالتكيّف لم يعد كافياً من وجهة نظر البعض، وإنما الأهم هو توقع التغيير والاستعداد له والتأثير فيه.
- إدراك أهمية اللغة في تحقيق التواصل الناجح المؤدي إلى الاستثمار العلمي والعملي في حياة الطلبة، والاعتزاز بلغتهم.

ومن هنا أصبح تطبيق الجودة الشاملة في التعليم مطلباً مهمّا لابد منه من أجل التفاعل والتعامل بكفاية ومهارة مع متغيرات هذا العصر ـ عصر اقتصاد المعرفة – ومتطلباته التي تكفل انتقالنا إليه والتي قام (عطية، ٢٠٠٩، ١٦٠) بتحديدها بالآتي:

أ. تطوير المجتمع المحلي عن طريق:
- رفع المستويات المعرفية.
- نشر ثقافة الحاسوب والإنترنت.
- رفع الكفايات الأدائية للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات والحواسيب.

ب. تحديد الأهداف التي ينبغي السعي إليها.

ج. تأهيل المعلّمين للقيام بالأدوار الجديدة في ظل اقتصاد المعرفة.

د. إعادة النظر في المناهج وطرائق التدريس والتشديد على التنمية الفكرية.

هـ. إعادة النظر بالتجهيزات المدرسية وتنظيم بيئة التعلّم.

ز. الاهتمام بالتعلّم الذاتي المستمر مدى الحياة وتعليم الناس كيف يتعلّمون.

ح. التشديد على الكيف في التعلّم لا على الكم.

ط. تحويل الطلبة من مستهلكين للمعرفة إلى منتجين لها.

و. تبصير الطلبة بسلبيات العولمة وإيجابياتها والانفتاح على الثقافة العالمية مع المحافظة على الهوية الوطنية.

ك. الاهتمام بتعليم التكنولوجيا لا سيما الحاسوبية.

والفاحص لهذه التوجهات وغيرها يلحظ أن ضمان الجودة في القرن الحالي يأخذ بالتوجه الاقتصادي الجديد من دون الأخذ بالنموذج التعليمي التقليدي المعروف. ويعتقد أن سبب التحول هذا يرجع إلى أفضلية الاقتصاد في التعليم إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى أنّ متطلبات سوق العمل التي أصبحت توجه أنشطة التعلّم والتعليم، وطرقه وأساليبه.

السؤال الثالث: ما المهارات التعليمية لمعلّم اللغة العربية في عصر اقتصاد المعرفة للوصول للجودة الشاملة في التعليم؟

اليوم ومع تسارع المستجدات في الميدان التربوي على وجه العموم، ومهمة المعلّم على وجه الخصوص، إذ شملته أدوار جديدة في التفاعل مع مجتمعه المحلي ومجتمعه التربوي على حدٍّ سواء، فضلاً عن دخول الموجة العالمية للتعلّم الألكتروني تحت مسمى العالمية أو العولمة ،فكان لزاماً على الأنظمة أن تعير المعلّم أكبر الاهتمام في الإعداد، و التدريب، و التأهيل وهو الذي جعله الله تعالى في منزلة الانبياء والمرسلين.

وهذا الاهتمام بالمعلّم جاء انطلاقاً من كونه عنصراً مهماً من عناصر العملية التعليمية، ويتوقف على دوره هذا إعداد البشر وصناعة التقدّم، وتناط به مسؤولية نمو الأفراد المتعلّمين، وتنمية المجتمع ونهضته، فدور المعلّم في عصر

اقتصاد المعرفة دور فعّال ومؤثر في معادلة الانفجار التعليمي، والتقدم التربوي. لذا لم يُعد دور المعلّم دوراً تقليدياً ناقلاً للمعرفة فقط، بل تعدى ذلك ليشمل مجالات جديدة ومتطورة. فجاء الاهتمام بإعداده وتأهيله، وتطوير قدراته لأداء مهنته التعليمية بشكل يمكنه من مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي وقيامه بالمهام والأدوار التربوية الموجهة إليه.

إذن فالمعلّم بحاجة إلى مهارات تربوية محددة تمكّنه من مواكبة عصر المعلومات واقتصاد المعرفة هي: (مصطفى ،٢٠٠٠)

أولاً: تأهيل المعلّم لإتقان مهارة استخدام التقنيات المعتمدة على الحاسب الآلي Computer-Based teaching وذلك بهدف تحسين مستوى التعليم فهي لا تقل أهمية من حيث إنها موضوع يتضمن الكثير من الخبرات والمهارات التي ينبغي أن يتمثلها المعلّم، فكما أنه يحتاج هذه التقنيات ليتدرب من خلالها فهو بحاجة أيضاً أن يتعلّم كيف يستخدمها ويتعامل معها ليستطيع البقاء من عالم اقتصاد المعرفة على المستويين الشخصي والمهني، ويفيد طلابه إلى حسن التعامل مع التقنية بأريحية في حياتهم التعليمية واليومية.

ثانياً: تأهيل المعلّم ليكون قادراً على تعليم مهارات وأساليب التعامل والنجاح في بيئات غير معروفة، وغير مستقرة وغير متنبأ بها، فليس في عصر المعرفة شيء مستقر وثابت، ولاسيما في مجال التعليم، وبذلك يمكنه أن يعلّم طلابه مهارات توظيف المستجدات في حل المشكلات الجديدة.

ثالثاً: تزويد المعلّم بالمهارات الذاتية الكافية التي تمكنه من ملكة القدرة على التعامل مع التدفق الكبير للمعلومات، من خلال قدرته على إيجاد المعلومة وتنظيمها، وإدارتها، ومن ثَمَّ تحويلها إلى معرفة و قرارات وإنتاج.

رابعاً: تأهيل المعلّم لامتلاك العديد من الصفات الضرورية للتأقلم مع عصر اقتصاد المعرفة، وتكوين الملكة التي تؤهله للقيام بدوره على الوجه المطلوب ومن أهم تلك الصفات أن يكون المعلّم: (جابر٢٠٠٢)

١. متفرداً وغير نمطي.
٢. ينظر إلى اختلافه مع الآخرين على أنه مصدر إثراء معرفي.
٣. مسهّلاً و ميّسراً لعملية التعلّم.
٤. قادراً على التعلّم الذاتي الشامل الدائم.
٥. ممارساً للتفكير الناقد.
٦. قائداً ومبدعاً فكرياً.
٧. محاوراً و مناقشاً بموضوعية.
٨. مراقباً و مستشاراً وموجهاً للتعلّم.

خامساً : تأهيل المعلّم ليكون ذا رسالة يسعى إلى خدمة اللغة العربية، والتضحية من أجلها لتعيد مكانتها العلمية والعالمية، وتعزيز مكانتها في نفوس الناشئة.

وعلى الرغم من فاعلية هذه الأدوار الجديدة للمعلّم، فإنّ المعلّمين لا يزالون يطبقون بشكل بطيء الاستخدامات التعليمية للحاسوب داخل غرفة الدراسة، وأن معلّم المستقبل بحاجة إلى امتلاك مهارات استخدام الحاسوب و الأنترنت من أجل تطوير وإنتاج المواد و الوسائل التعليمية لأغراض إنتاجية، ووسيلة لزيارة الأنشطة التعليمية التعلّمية.

والملاحظ لدور المعلّم في الماضي ووضعه في الحاضر، لوجد فرقاً في مكانته الاجتماعية وبالتالي نفسيته. فالمعلّم في الماضي يأتي في مصاف قادة الفكر، وقد بدأ الفلاسفة المصلحون الاجتماعيون حياتهم معلّمين وجعل المجتمع المعلّم في منزلة تكادُ تكون قريبة من منزلة الرُسُل.

أما في هذا العصر- عصر المادة - فقد أصبح العائد المادي لمهنةٍ ما، هو القياس الوحيد لمدى أهمية هذه المهنة ومكانتها في نظر المجتمع.

السؤال الرابع: ما التغييرات المستقبلية لضمان الجودة الشاملة في التعليم؟

يمر عالم اليوم بمرحلة انتقالية بالغة الأهمية للوصول إلى عصر جديد يتميز بمتغيرات نوعية غير مسبوقة تجسدت في عصر التحديات التي تواجه العالم، كالعولمة، والقرية الكونية، والقطب الواحد، والتكتلات الاقتصادية العملاقة، وثورة الاتصالات والتكنولوجيا وغيرها.

ويتوقف نجاح إدارة الجودة الشاملة في النظام التعليمي على مدى توافر هيكل تنظيمي جديد قادر على استيعابها مفاهيم الجودة واستخدامها بشكل سليم مع القيام بعمليات التحسين والتطوير من أجل تحسين نوعية المنتج وهو الطالب. لذلك من أجل نجاح تطبيق، وتنفيذ الجودة الشاملة لابد من تصميم وحدة متكاملة جديدة لإدارة الجودة قادرة على مواجهة التحديات، وهذه الوحدة تحتوي على عناصر أساسية تشكل قاعدة التطبيق الصحيح وهرمه (عرار،٢٠٠٧) .

وتشير الدراسات المستقبلية إلى أنّ المستقبل القريب سيشهد تغيرات مرتبطة بثلاث قضايا حيوية هي ثقافة الجودة، وعلاقة الجودة العالمية، وضمان الجودة في إطار تطوير التربية عبر الأمم (Middle Hurst، ٢٠٠١)، وهناك من يرى أن المستقبل القريب سيشهد اعتماد المتعلّم أو اعتماد مؤسسة التعليم، أما بالنسبة للتعلّم عن بُعد، فإنّ توقعات الباحثين تشير إلى أنّ نظام ضمان الجودة سيفرض سلطة على التعلّم عن بُعد من خلال نماذج خاصة به، بل إنّ هذه النماذج قد بدأت تظهر بالفعل (ILLKSON، ١٩٩٤) .

ولقد أسهمت اليونيسيف في مساعدة بعض الدول في تحقيق تقدّم كبير في رفع معدلات الالتحاق بالمدارس والحصول على التعليم. وتحاول اليونيسيف خلال السنوات القادمة دعم برنامج الحكومة لإصلاح التعليم مع التركيز على طرائق التعلّم والتدريس جيّد النوعية، وتحسين البيئة المدرسية بما في ذلك مرافق الصرف الصحي والصحة العامة.

وهناك اتفاق بين المهتمين بأنّ أي تحسن أو تطوير للجودة يتطلب تغييراً في عملية التحسين المستمر ضمن إطار تعاوني ومتكامل؛ كي تصبح للجودة الشاملة أساسان هما: المعرفة والالتزام، فمن دون المعرفة لا يمكن اختيار الأفضل لواقع المؤسسات، ومن دون الالتزام لايمكن تحويل المعرفة إلى واقع عملي أو فعل تطبيقي يمكن متابعة نتائجه (عطية ،٢٠٠٩).

لقد أدت عولمة الاقتصاد إلى ظهور بعض التوجهات لتعديل المناهج الدراسية حتى تصبح مساندة للتجديدات في بنية الاقتصاد الحديث. ويتطلب اقتصاد المعرفة موارد بشرية مؤهلة تتصف بمستوى عال في التعليم والتدريب ، وحرص على النمو المهني والتعلّم الذاتي المستمر و القدرة على التواصل والإبداع وحل المشكلات واتخاذ القرارات وزيادة على المرونة والقدرة على التحول من مهنة إلى أخرى والتعامل مع الحاسوب وتوظيف التنمية بنجاح.

ويتوقع من النظام التربوي أن يمارس دوراً فاعلاً متعدد الأبعاد متنوع المجالات في إعداد الطلبة وتهيئتهم لمجتمع اقتصاد المعرفة وتمكينهم من الكفايات الضرورية لتحقيق التعايش والتفاعل فيه، ومواكبة مستجداته و تقنياته وتحدياته (شحاته ٢٠٠٥).

إن جودة التعليم وفق اقتصاد المعرفة تقوم على أسس تحقيق ما يأتي: (طعيمة، ٢٠٠٦)

- مشاركة الطلاب للمعلّم في تخطيط موضوع الدرس وتنفيذه بما يحقق «الإدارة التشاركية»، وهكذا يكون المعلّم والطالب على حدٍّ سواء مسؤولين عن تحقيق جودة التعليم الفعّال.
- تطبيق مبدأ (الوقاية خير من العلاج) الذي يقتضي تأدية العمل التدريسي من بدايته إلى نهايته بطريقة صحيحة تسهم في تجنب وقوع الخطأ، ومواجهته، وعلاجه أولاً بأول.
- تتحقق جودة التعليم على أساس مبدأ (التنافس) والتحفيز الذي يستلزم ضرورة توفير أفكار جديدة ومعلومات حديثة من قبل المعلّم والطالب على حد سواء.

- يتحقق التدريس الفعال في حالة تطبيق مبدأ (المشاركة التعاونية)، وذلك يتطلب مبدأ (الإدارة الذاتية) لإتاحة الفرصة كاملة. وتحفيز جميع الطلاب لإبداء الرأي والمشاركة الإيجابية في المواقف التعليمية التعلّمية.

ومما سبق يتضح أن التعلّم النشط استراتيجية للتعلّم تساعد المتعلّمين على الاشتراك في أنشطة جماعية أوثنائية أوفردية تجعلهم يتوجهون ذاتياً نحو التعلّم والتفكير والبحث حول ما يتعلّمونه.

ومن ضمن التحولات لضمان الجودة التحول من اعتماد المؤسسة أو البرنامج إلى اعتماد المتعلّم أو المعلّم ذاته وفي هذه الحالة فإنّ المتعلّم في حالة إظهار إنجاز أو الوصول إلى مستوى محدد من المعارف والمهارات فإنه يمنح شهادة بذلك بدلاً من منح المؤسسة التي تقوم بإعداده (الثنيان، ١٤١٩هـ)، وكي تتحقق أهداف التربية يجب أن يكون التعليم في الجودة (المعلومات) ممزوجاً بالتعليم في بيئة الجودة (المهارات).

ويرى الباحثان أن تطوير التربية والتعليم لرهنٌ بإصلاح عميق شامل طموح يتناول الأهداف فيدققها، والطرائق والأساليب والوسائل فيجددها ويكيفها مع مقتضيات عصر العولمة وضرورة مواكبته، والمحتويات فيحدثها ويجددها، والمعلّم؛ فيزيد تدريبه والرفع من شأنه، والمتعلّم؛ فيغرس في ذهنه ووجدانه ضرورة التعلّم الذاتي والمستمر مدى الحياة.

ويقول الحامد (١٤١٩ هـ، ٣٥) « القرن القادم قرن يتميز بأهمية المعلومات فيه ومن يملك المعلومة يملك عنصراً قوياً من عناصر القوة ومن الواجب الأخذ في عين الاعتبار أهمية العناية بالمعلومة في القرن القادم. والأخذ بيد الناشئة والمدارس والمؤسسات للاستفادة من ثورة الاتصالات في العالم والإقبال على استخدام الكومبيوتر والاتصالات الالكترونية «.

توصيات البحث :

يوصي الباحثان في ضوء نتائج البحث بما يأتي:

١- ضرورة بناء المناهج المدرسية وفق منظور اقتصاد المعرفة، لضمان الجودة الشاملة في تعليم اللغة العربية والمباحث الأخرى.

٢- الاهتمام بالطفولة تعليماً وتوجيهاً في ظل مبادىء الجودة الشاملة واقتصاد المعرفة لدورها في صناعة العقول المنتجة والتمكن من اللغة العربية، وتقدير أهميتها.

٣- إجراء بحث مماثل يتناول دور اقتصاد المعرفة في تنمية التفكير الناقد والإبداعي لدى الطلبة في مراحل التعليم المتعددة.

٤- تدريب معلّمي اللغة العربية في أثناء الخدمة على أدوارهم الجديدة في عصر اقتصاد المعرفة ليكون قائداً ومفكراً ومبدعاً ومحاوراً ومستشاراً وموجهاً وغير نمطي .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

بشارة، جبرائيل. (١٩٨٦). تكوين المعلّم العربي والثورة العلمية التكنولوجية: المؤسسة الجامعية.

البيلاوي، حسن حسين. (١٩٩٦). إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي في مصر، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التعليم العالي في مصر: جامعة المونوفية.

الثنيان، عبد العزيز عبد الرحمن. (١٤١٩هـ). رؤية حول المستقبل التعليمي، مجلة المعرفة، المملكة العربية السعودية، العدد (٣٣) ٦٣-٨٩.

جابر، جابر عبد الحميد. (٢٠٠٢). مدرّس القرن الحادي والعشرين الفعّال ومهارات التنمية المهنية، القاهرة: دار الفكر العربي.

الحامد، محمد بن معجب. (١٤١٩هـ). تطوير المناهج بين الواقع والتطلعات، ورقة عمل منتديات مركز الملك سعود، الطائف.
الخزرجي، ثريا عبد الرحيم وشيرين، بدري البارودي. (٢٠١٢). اقتصاد المعرفة الأسس النظرية والتطبيق في المصارف التجارية،عمّان: دار الوراق.
شحاتة، سيد حسن. (٢٠٠٥). ثقافة المعايير والتعليم الجامعي، بحث مقدّم في المؤتمر العلمي السابع للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ٢٦-٢٧ يوليو.
شوق، محمود ومحمود، محمد. (١٩٩٥). تربية المعلّم للقرن الحادي والعشرين، الرياض: مؤسسة العبيكان.
طعيمة، رشدي أحمد وآخرون. (٢٠٠٦). الجودة الشاملة في التعليم بين مؤثرات التمييز ومعايير الاعتماد، عمّان: دار المسيرة.
عبد السميع، مصطفى. (٢٠٠٥). إعداد المعلّم تنميته وتدريبه،عمّان: دار الفكر.
عثمان، محمد. (١٩٩٥). التحديات التكنولوجية وانعكاساتها على النظم التربوية، بحث مقدم للمؤتمر العربي، عمّان: الجامعة الأردنية.
عرار، خالد حقي. (٢٠٠٧). حقيقة وضعية المعلم، منتديات مركز الملك سعود: الطائف.
عطية، محسن علي. (٢٠٠٩). الجودة الشاملة والجديد في التدريس، عمّان: دار صفاء.
عطية، محسن علي. (٢٠٠٨). تكنولوجيا الاتصال في التعليم الفعال،عمّان: دار المناهج.
العناتي، وليد وربابعة، يوسف وخليل، ابراهيم. (٢٠١٢). العربية في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية الأردني، مايس ٢٠١٢، عمّان.
القلا، فخر الدين. (١٩٨٧). إعداد المعلّم وتدريبه على استخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
مدكور، أحمد. (٢٠٠٥). الثقافة والتربية، مؤتمر التعليم باللغة العربية في مجتمع المعرفة، ٥-٧ يوليو، عدد خاص، جامعة القاهرة.
الهاشمي، عبد الرحمن والعزاوي،فائزة. (٢٠٠٩). الاقتصاد المعرفي وتكوين المعلّم، العين: دار الكتاب الجامعي.
الهاشمي، عبد الرحمن والعزاوي، فائزة. (٢٠٠٧). المنهج والاقتصاد المعرفي، عمّان: دار المسيرة.

المصادر والمراجع الانجليزية

Middlehur, str. (2001). Quality Assurance Implication of New Forms of Higher Education, European Network for Quality Helsinki, Finland, Assurance in Higher Education.

Partrick (1999). An Empirical in Higher Education, Journal of Education.

Willkson 68 cave, E. (1994). Teaching and Managing in Separable Activities in School Room HELM, London.

www.alwatan.com . sa/ daily/ writers 06 btm. Retrieved 26, August 2012.

www.taifedu.gove sa/mont ada/ topic.asp topicid-7444. Retrieved 20 April 2012.